العمليات السرية للمخابرات البريطانية في اليمن (1962- 1964) (1-3)

تعد اليمن واحدة من أكثر الدول اضطرابًا في الشرق الأوسط، حيث تعذبها الصراعات الداخلية ومحاولات القوى الخارجية بسط نفوذها فيها. ويرجع الاهتمام الوثيق الذي يبديه «اللاعبون» الخارجيون بهذه الدولة إلى موقعها الجغرافي الهام. تقع اليمن في أقصى جنوب شبه الجزيرة العربية، وتواجه البحر الأحمر من جهة والمحيط الهندي من جهة أخرى. لكن هذه الصورة لم يتم ملاحظتها دائمًا. لفترة طويلة، كانت أراضي العربية الجنوبية عبارة عن تكوين معقد لنفوذ الأئمة اليمنيين والشيوخ المحليين والتاج البريطاني. كان البريطانيون من بين أول من أدرك مزايا الموقع الجغرافي للطرف الجنوبي لشبه الجزيرة العربية. وفي عام 1839 استولوا على ميناء عدن وأسسوا مستعمرتهم هناك. وبمرور الوقت، أنشأت بريطانيا العظمى حزامًا دفاعيًا حول عدن، وأبرمت معاهدات الحماية مع السلاطين والأمراء المحليين. شكلت هذه المحميات اتحاد (إمارات الجنوب العربي) في عام 1959، وأعيد تسميته في أبريل 1962، إلى اتحاد الجنوب العربي (FSA). كان نظام النفوذ البريطاني هذا في جنوب شبه الجزيرة العربية مهددًا بخطط المملكة اليمنية المجاورة، التي لم تخف أبدًا مطالباتها بالطرف الجنوبي لشبه الجزيرة العربية، فضلاً عن العمليات النشطة لمصر، التي سعت إلى تعزيز قوتها. وتدعي دور زعامة العالم العربي.

وباسم حماية هذا النظام، استخدمت المملكة المتحدة مجموعة واسعة من الأساليب، بما في ذلك تلك التي لم يتم الإعلان عنها على الإطلاق. نحن نتحدث هنا عن استخدام العمليات السرية لأجهزة المخابرات البريطانية. وهذه الدراسة مخصصة لتحديد طبيعة ونطاق وسائل وعواقب استخدام هذه العمليات في الفترة الأولى من الحرب الأهلية في اليمن (1962 - 1964).

إن موقف القوى الخارجية من الصراع الداخلي في اليمن، الذي نشأ بعد الإطاحة بالنظام الملكي عام 1962، شكل موضوعا لعدد كبير من المؤلفات في التأريخ الجغرافي. لسوء الحظ، لا يعود المؤلفون المحليون في كثير من الأحيان إلى هذه المؤامرة. ومن أهمها أبحاث المؤلف البريطاني من أصل عربي أحمد المذحجي [1] وأعمال زميله المؤرخ والدبلوماسي الأمريكي روبرت ستوكي [2]. في كل هذه المؤلفات، لم يتم ذكر العمليات البريطانية في الأراضي اليمنية إلا بشكل عابر، دون ذكر للتفاصيل. لكن هذه القصة لفتت انتباه مؤلفين بريطانيين متخصصين في تاريخ أجهزة الاستخبارات. أولا، لفت ريتشارد ألدريتش انتباه المجتمع العلمي إلى حقيقة أن بريطانيا العظمى فضلت التصرف في الشرق الأوسط "بطرق غير مرئية" لتحقيق أهدافها الوطنية أو الأيديولوجية أو حتى العرقية [3، ص. 5]. ولاحقا تطرق ستيفن دوريل في دراسته الضخمة لجهاز المخابرات البريطاني MI6 إلى موضوع نقل الأسلحة إلى المتمردين الملكيين في اليمن [4، ص. 684]. لكن تجدر الإشارة إلى أن العمليات السرية لأجهزة المخابرات البريطانية لم تقتصر على هذا فحسب.

كان أول شخص يدرس بجدية الأنشطة التخريبية البريطانية في اليمن هو الباحث في جامعة نوتنغهام سبنسر موبي. وأعرب موبي عن اعتقاده أن تورط لندن في الشؤون اليمنية كان سببه الاحجام عن الاعتراف بضعف الدور البريطاني في الشؤون العالمية والسعي للحفاظ على إمكانية حماية المصالح الإمبراطورية. لقد كان الساسة البريطانيون يعتبرون الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية بمثابة حجر الزاوية في نظام هذه المصالح، لذلك، من أجل حمايته، كانت الحكومات المحافظة في عهد هارولد ماكميلان ثم ألكسندر دوغلاس هوم على استعداد لاستخدام أي وسيلة، بما فيها تلك الوسائل، التي جرت العادة على السكوت عنها [5، ص. 105، 126]. وبعدٍ ذلك تم اختيار هذا الموضوع لاحقًا من قبل كلايف جونز الأستاذ بجامعة دورهام. الذي شدد على أن لندن تحولت إلى تطبيق استخدام الشركات العسكرية الخاصة في اليمن، الأمر الذي كان دائمًا موضع شك في فعاليتها. وفي بداية الستينيات نشأ لدى لندن وهم بأن كل شيء كان تحت سيطرتها. ولأن ذلك لم يكن حقيقة، فقد أدى الحال في نهاية المطاف إلى انسحاب سريع للبريطانيين من عدن عام 1967 [6، ص. 126-99]. وتجدر الإشارة إلى أن تأريخ العمليات السرية البريطانية في جنوب شبه الجزيرة العربية لا يزال في طور التشكل، حيث تكتسب العديد من الجوانب تغطية مختلفة نتيجة لظهور المزيد والمزيد من المصادر الأرشيفية والمصادر الأخرى، على سبيل المثال، مواد التاريخ الشفهي [7].

سعت القيادة البريطانية في بداية الستينيات إلى حماية الجنوب العربي (اتحاد الجنوب العربي ومستعمرة عدن) من تأثير القومية العربية، التي جسدها الزعيم المصري جمال عبد الناصر. وبعد أزمة السويس عام 1956، التي انتهت بالنسبة لبريطانيا العظمى بمحاولة فاشلة للإطاحة بالرئيس المصري، كانت المملكة المتحدة مصممة على منع تعزيز نفوذ ناصر في العالم العربي وخاصة في (الجنوب العربي) حيث كانت تقع مستعمرة عدن البريطانية. وأظهرت أزمة الشرق الأوسط عام 1956، ضعف الطاقة في دول أوروبا الغربية والحاجة إلى البحث عن أشكال جديدة للسيطرة على إنتاج ونقل النفط من منطقة الخليج، وتعزيز عمليات التكامل في أوروبا [8، ص. 135 - 137]. ولحل مشاكل احتمال انقطاع إمدادات النفط، رأت لندن أنه من الضروري الحفاظ على وجودها العسكري في جنوب الجزيرة العربية. وفي هذا الصدد، أثارت تقارير المخابرات البريطانية حول النشاط المتزايد للاتحاد السوفيتي وجمهورية الصين الشعبية في (الجنوب العربي) قلقًا خاصًا في لندن.

واعتقد موظفو جهاز المخابرات السرية البريطانية، ان لدى الاتحاد السوفييتي خططاً لبيع أسلحة لليمن حتى تتمكن المملكة من تجميع ترسانة كافية يمكن لمصر أو الاتحاد السوفييتي استخدامها في حالة نشوب أعمال عدائية في الشرق الأوسط. واعتبر ضباط المخابرات البريطانية أن هدف موسكو النهائي هو السيطرة على مضيق باب المندب [9]. ولكن لا يوجد دليل على رغبة الاتحاد السوفيتي في إمداد اليمن بالأسلحة، كما تم حظر الدعاية الشيوعية في المملكة اليمنية، على الرغم من ان

العلاقات بين صنعاء وموسكو في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات كانت دافئة جدًا. وقد عولج الإمام الملك أحمد بن يحيى على يد الأطباء السوفييت، حتى أن ابنه محمد البدر زار الاتحاد السوفييتي عام 1957 [10، ص. 102]. وبشكل عام، قامت السلطات اليمنية، بعد الإطاحة بالنظام الملكي في العراق عام 1958، بتبريد علاقاتها مع القاهرة بشكل كبير وخففت أنشطتها في الجنوب.

في 19 سبتمبر 1962، توفي ملك اليمن أحمد بن يحيى. واستولى على العرش ابنه محمد البدر، لكنه لم يستمر في السلطة إلا أسبوعا واحدا. وفي ليلة 26 - 27 من نفس الشهر، أطاح (الحرس الملكي) بقيادة العقيد عبد الله السلال بالإمام الجديد. وتم إعلان قيام الجمهورية العربية اليمنية (YAR). تمكن محمد البدر من الفرار إلى شمال البلاد، حيث تعيش القبائل الموالية للنظام الملكي، ويُعتقد على نطاق واسع في التأريخ الأجنبي أن جمال عبد الناصر كان على علم على الأقل بالانقلاب الوشيك في صنعاء [11، ص. 59]. وبسرعة مذهلة، بدأ الزعيم المصري في تقديم المساعدة العسكرية للنظام الجمهوري. وبعد أيام قليلة من (الانقلاب) في صنعاء، بدأت القوات المصرية تهبط في ميناء الحديدة اليمني، مسرعة لمساعدة الجمهوريين. وقد جرت من قبل محاولات لقلب الإمامة، وشاركت في بعضها، بحسب الكاتب البريطاني ستيفن دوريل، أجهزة المخابرات المصرية [4، ص. 678]، ولكن تبين أن (انقلاب) سبتمبر 1962 هو الأكثر نجاحًا من بينها.

إن وجهات النظر المؤيدة لمصر في القيادة الجمهورية اليمنية، والتي ألهمت التفاؤل في القاهرة، لم يتشاركها الشعب اليمني بأكمله. وحتى في الجيش الذي نفذ الانقلاب، دعم العديد من الجنود الإمام الشاب [2، ص. 231]. بدأ محمد البدر بجمع المؤيدين حوله بهدف استعادة النظام الملكي. وبدأت الحرب الأهلية في اليمن، حيث حظيت الحكومة الجديدة بدعم رئيسي من سكان المناطق الحضرية في الأجزاء الغربية والجنوبية من البلاد، وكان الإمام المخلوع مدعومًا من بعض القبائل في المرتفعات الشمالية والشرقية. وكان الوضع في المعسكر الملكي مربكا. كما تقدم عم البدر الأمير الحسن لشغل منصب الإمام. وتمكن المتنافسان من الاتفاق فيما بينهما على تقسيم السلطة في حال النجاح في صراع استعادة العرش [12، ص. 170]. لكن هذا الاتفاق كان هشًا وتم تفسيره بمهمة تعزيز القوى المؤيدة للملكية. في الواقع، وكما كان متوقعًا فقد استمر التنافس الكامن بين محمد البدر والحسن.

وتسببت الثورة في اليمن في قلق بالغ في لندن. بالنسبة للسلطات البريطانية، بدا الوضع كما لو أن أسوأ التوقعات بشأن رغبة جمال عبد الناصر لبسط السيطرة المصرية على كامل جنوب الجزيرة العربية قد تحققت، ولم يكن إنشاء الجمهورية العربية اليمنية سوى الخطوة الأولى على هذا الطريق، ثم يأتي الدور على عدن. على سبيل المثال، يبدو قلق هارولد ماكميلان مرئيا بوضوح على صفحات مذكراته. حيث أشار رئيس الوزراء البريطاني عدة مرات إلى الحاجة إلى استعراض القوة، الأمر الذي ينبغي أن يكون له تأثير تنبيهي على السلطات الجمهورية في صنعاء والقاهرة [13].

ولم تكن بريطانيا العظمى وحدها التي كانت تشعر بالقلق إزاء الأحداث في اليمن. لقد أعرب رؤساء الإمارات العربية التي كانت تحت حماية التاج البريطاني عن قلقهم بنفس القدر. وأثاروا بشكل مباشر مسألة تعزيز قوات الاتحاد، أو ما يسمى بمجندي محمية عدن (RPA)، ومن الناحية المثالية، فقد نفذ الجيش البريطاني ضربات وقائية على مواقع الجيش الجمهوري للعربية اليمنية. لقد تلقى الملكيون بالفعل بعض المساعدة. وكتب الممثل الرسمي لحكومة صاحبة الجلالة في (اتحاد الجنوب العربي)، روبن يونغ، في مذكراته بتاريخ 8 أكتوبر 1962 أن الشريف حسين (أمير) بيحان تلقى 500 بندقية وذخيرة و20 ألف جنيه إسترليني نقدًا من المخابرات البريطانيةMI6 . من الواضح أن هذا المبلغ كان مخصصًا للأمير شخصيًا كدفعة مقابل ولائه، كما تؤكد عبارة روبن يونغ في مذكراته: «بعد انتهاء كل شيء، أجرؤ على القول إن الشريف لن يمتلك سيارة رولز رويس واحدة فحسب، بل مرآبًا كاملاً!» [14، ص. 165].

بدأت سياسة الحكومة البريطانية تتأثر بشدة بـ «مجموعة عدن»، التي ضمت شخصيات مهمة مثل وزير المستعمرات دنكان ساندیز، ووزير الدفاع بيتر ثورنيكروفت، ووزير الطيران جوليان إيمري. وفي منطقة الشرق الأوسط، شاركهم حاكم عدن، تشارلز جونستون، وجهات نظرهم بالكامل. واعتقدوا أن انتصار الجمهوريين في اليمن سيؤدي إلى تسريع طرد البريطانيين من عدن؛ وسيتبع ذلك سلسلة من ردود الفعل في مسقط والبحرين وقطر والكويت، وسيتم تدمير أسس سياسة المملكة المتحدة النفطية في الشرقين الأدنى والأوسط؛ وان مقاومة تصرفات جمال عبد الناصر ستسمح بالانتقام منه فيما يتعلق بأزمة السويس، حيث أن هناك كل الأسباب للاعتقاد بأن اليمن سيصبح فخًا للزعيم المصري [6، ص. 100؛ 15، ص. 260 - 265]. واعتبر أعضاء «مجموعة عدن» أن الأعمال التخريبية هي أفضل وسيلة لاحتواء الزعيم المصري في (الجنوب العربي). وفي هذا الصدد، يمكن للمرء أن يتفق مع الكاتب البريطاني سبنسر موبي، الذي يرى أن الدرس الرئيسي الذي تعلمه المحافظون من أزمة السويس لم يكن في عدم الحاجة للدخول في مواجهة مع عبد الناصر، ولكن لهذا الغرض ينبغي استخدام أساليب أكثر تعقيدا وأقل وضوحا، على سبيل المثال، العمليات السرية [5، ص. 126]. وبدا أن جنوب الجزيرة العربية هي المكان المثالي لهزيمة عبد الناصر.

نقله للعربية:
د. احمد سنان الجابري

وكان ويتهول بحاجة إلى حجاب السرية لعدة أسباب. أولاً، أرادت بريطانيا العظمى تجنب الاتهامات بأنها شنت حملة عسكرية استعمارية كلاسيكية أخرى. ومن الواضح أن الضجة في الأمم المتحدة، حيث كانت المشاعر المناهضة للاستعمار قوية، لن تكون مفيدة للمصالح البريطانية. ثانياً، كانت هناك خلافات واضحة مع الولايات المتحدة بشأن مسألة الاعتراف بالجمهورية العربية اليمنية. ولم تكن واشنطن ترى سبباً لرفض الاعتراف بالنظام الجمهوري في صنعاء، في حين لم تكن لندن في عجلة من أمرها لاتخاذ مثل هذه الخطوة. يمكن أن تؤدي المواجهة المفتوحة بين بريطانيا وعبد الناصر إلى تعقيد عملية إقامة حوار بناء بين واشنطن والقاهرة، وهو ما سعت إليه إدارة جون كينيدي. بالإضافة إلى ذلك، أظهرت أزمة السويس التعقيدات التي قد يفرضها العدوان البريطاني العلني على العلاقات عبر الأطلسي. وأخيراً، ثالثاً، أصبحت مشاركة لندن السرية في العمليات التخريبية جزءًا من تقاليد الحفاظ على نفوذ التاج البريطاني في الشؤون العالمية. ودون الإعلان بشكل خاص عن أنشطتها في إعداد وتوريد وتعديل الغارات على أراضي الجمهورية العربية اليمنية، احتفظت بريطانيا العظمى بأهميتها بالنسبة لأمراء وسلاطين (الجنوب العربي)، الذين تنافسوا مع بعضهم البعض على رعاية فوغي ألبيون*.

فلاديمير بيتروفيتش روميانتسيف، دكتور في العلوم التاريخية، أستاذ ورئيس قسم الدراسات الشرقية، جامعة تومسك الحكومية للأبحاث الوطنية، روسيا نشر في 20 أغسطس 2024، في مجلة (إزفستيا)، جامعة ألتاي الحكومية. 2024. رقم 3 (137).

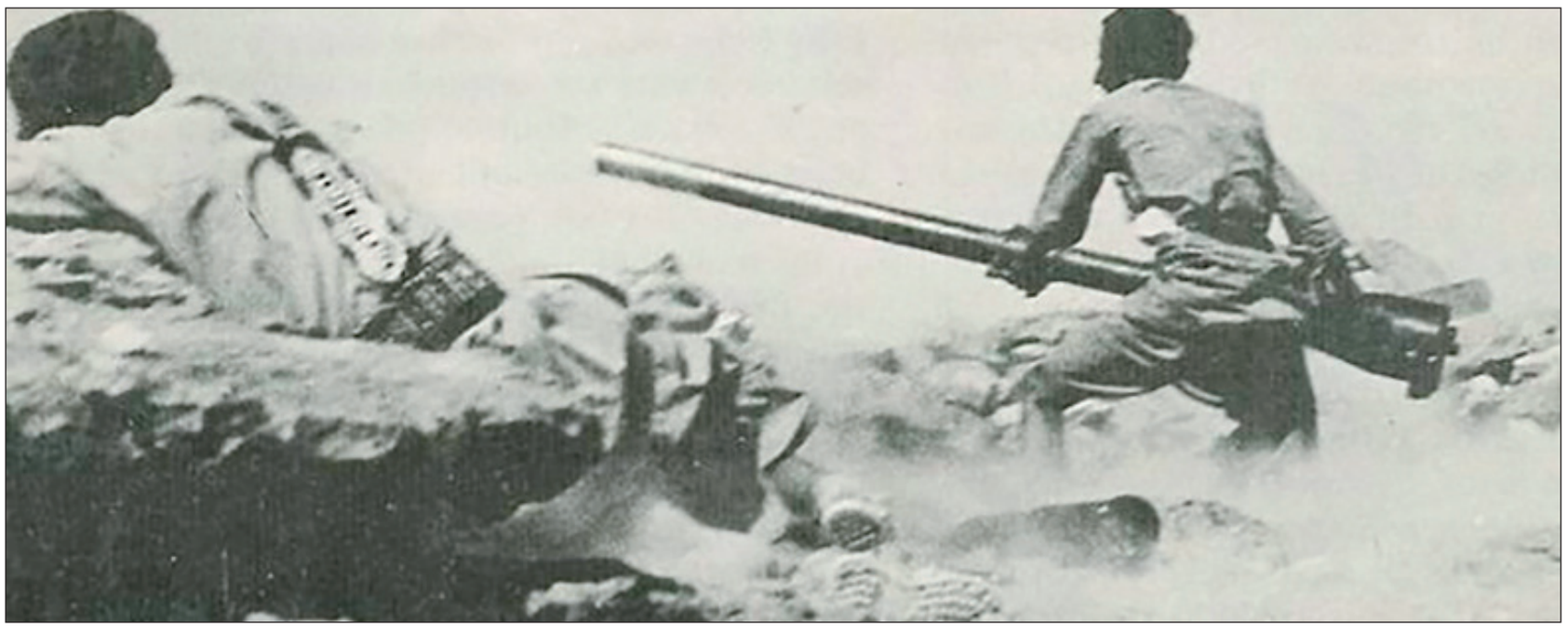

الإخوة أصحاب الأعمال.. الالتزام بسداد الاشتراكات التأمينية أولاً بأول إلى المؤسسة يجنبكم المساءلة القانونية وتراكم الغرامات